أشكال المسكوت عنه في الرواية الجزائرية – رواية عقم شرف- لربيحة حدور أنموذجا

Forms of the Unspoken Intentions in Algerian Novels: "Barrenness of Honor" Novel by Rabiha Haddour as a Case Study

ربيعة بن عثمان ✷

المركز الجامعي أحمد بن عبد الرزاق سي الحواس –بريكة ،الجزائر

rabiabenathmane12@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/09/16	تاريخ: القبول: 2022/11/08	تاريخ النشر: 2022/12/31

المستخلص:

المسكوت عنه نوع من المحظورات الملمح لها بشفرات، وتسعى هذه الورقة البحثية إلى فك رموزها، ولعل من المصطلحات ذات الصلة بالمسكوت عنه "التابو": الثالوث المحرم، بداية استعمل في الشعر تلميحا لا تصريحا حتى وصل إلى فن الرواية حيث وظفه الروائيون الجزائريون في أعمالهم الفنية وامتلكوا الجرأة الكافية للكتابة في قضاياه .

الكلمات المفتاحية :المسكوت عنه، التابو، الثالوث المحرم ، عقم شرف.

Abstract:

The current study seeks to decipher these intentions. One of the terms in connection with the unspoken intentions is the forbidden trilogy. This latter was first employed in poetry implicitly not explicitly. It then was employed in novels by Algerian novelists in their literature, as well as tackling issues in connection with it.

Keywords: The Unspoken Intentions, Taboo, Forbidden Trilogy, Barrenness of Honor

1.مقدمة:

يعد المسكوت عنه في الرواية الجزائرية من بين أهم القضايا الإشكالية المعاصرة، فقد أصبحت الرواية المعاصرة فنا مميزا يتمتع بالحرية والتجديد والابتعاد عن القوالب، بعد أن جسدت البعدين التاريخي والقومي وانزاحت نحو مسار التغيير. كما أضحت مرآة للسياسة والأخلاق والدين والجنس والمجتمع. فتحولت بذلك إلى متنفس للروائي من خلاله الإفصاح والتصريح. فالرواية باعتبارها خطابا مباشرا للمتلقي انطلاقا من رؤيته وتحليله للنص الإبداعي، دفعت بعض النقاد والباحثين إلى الاهتمام بمصطلح المسكوت عنه خاصة ما يسمى بالثالوث المحرم، ولم يكتب هذا المصطلح من أجل التشهير بل كان الهدف منه الكشف والتنقيب عن فعالية النصوص الإبداعية.

ومن هنا نطرح الإشكالية الأساسية: ما أشكال المسكوت عنه في رواية "عقم شرف"؟ ثم الإشكالية الفرعية : ما دافع الكتابة في هذه المواضيع الحساسة؟ وما السبب الذي جعل الروائية " ربيحة حدور" تقارب في نصها المسكوت عنه؟

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن أشكال المسكوت عنه في المجتمع الجزائري خاصة في الرواية الجزائرية، ونخص تحديدا رواية "عقم شرف"، التي تعتبر ركيزة ورقتنا البحثية.

2. تعريف المسكوت عنه من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية:

1-1–اللغوي:

من المعاني اللغوية التي تداولتها المعاجم في مصطلح "المسكوت عنه" ما جاء في أول معجم، وهو معجم العين: «سَكَتَ عنه الغضب سُكُوتًا، سَكَتَ بمعناه: رجل سَكُوتْ؛ أي

صموت وهو سَاكِتٌ إذا رأيته لا ينطق، ويقال سَكَتَ سَكْتًا وضربته حتى أُسْكِتَ؛ أي أطرق ولم يتكلم، وقد أُسْكِتَت حركته؛ أي سَكَنَتْ أَسْكَتَه الله وسْكّتَهُ»[1]؛ أي سكت عنه الغضب.

نستنتج من خلال الحد اللغوي لمصطلح المسكوت عنه أنه انبثق من المادة (سَكَتَ) في المعاجم السابقة الذي مصدرها من "السُكُوتُ" وفعلها (سَكَتَ، يَسْكُتُ، أُسْكَتَ)، واسم الفاعل منه (سَاكَتٌ) واسم المفعول (مَسْكُوتٌ)، وهذا معناه أن لفظة المسكوت هي خلاف النطق وانقطاع الكلام والتزام الصمت.

2-1- الاصطلاحي:

تنوعت مفاهيم "المسكوت عنه" من الناحية الاصطلاحية عند الكثير من النقاد والباحثين حيث وصفه محمد الشيباني في قوله: «القول المسلوب لفظه ويترتب على هذا السلب عدة أمور تخص بصفة عامة تصور الحقيقة»[2] ؛من خلال تحليلنا نستنتج أن المسكوت عنه هو ما حذف من النص الإبداعي وعادة ما يكون المحذوف خوفا من سلطة ما أو اتجاه سياسي معين، فالكلام المسلوب هو الحقيقة المخفية التي يجب على القارئ أن يكشفها.

2- التابو : ورد أصل مصطلح "التابو" في قاموس الأنثروبولوجيا لصاحبه شاكر مصطفى سليم بأنه من لغة «سكان "topu"،"taboo" جزيرة تونكا"tangans"، اكتشف معناه في يولينزيا وادخله إلى اللغة الإنكليزية "الكابتن كوك" "cookcaptain"، وكان ذلك عام1777 م أثناء رحلته الثالثة، وكان هذا المصطلح يعني تحريما لأمور ذات علاقة بـ "المانا" وكل شيء مقدس»[3]؛ فهذا المصطلح يعني التحريم في بعض المعتقدات المقدسة.

فكلمة "التابو" المفردة تدل على المقدس أو المحرم أو المحظور أو المسكوت عنه؛ سواء أكان دينيا أو جنسيا أو سياسيا أو عرفيا (قبليا) أو غير ذلك، وتشير تحديدا إلى مناقشة المواضيع الدينية أو غيرها، وحينئذ يحضر التابو بصفته حظرا للتصرفات والأقوال، وبالذات على الكتابة الإبداعية التي تعد أقدر من غيرها على تقديم ثقافة انتقادية لكل تابو سائد في مجتمع ما4، وهنا – مثلا - تشكلت الكتابة النسوية بصفتها مغامرة ضد التابو الذكوري؛ أي أن التابو يعود إلى محاولة فرد ما أو فئة ما إلى كسر المواضيع الاجتماعية والسياسية والدينية

وغيرها، فالتابو صراع بين فئتين مختلفتين هما الرجل والمرأة، بحيث يسعى هذا الفرد إلى تأسيس فردية داخل المحرمات الاجتماعية أو الثالوث المحرم فجاءت المبدعات النسوية بنصوص إبداعية أدبية لمنافسة الرجل في مجال التابو[5]. فقد وصلت به إلى «الجرأة والانتقام وجعل الطابوهات والمحرمات موضوعا للنقاش والتساؤل والكشف (...) وبعد نضال مرير أدى ثمنه كتاب وروائيون كثيرون أصبح المتن الروائي يستبيح هذه الطابوهات وينتهكها علانية ودون حجب ويتعلق الأمر بالمعتقد الديني»[6]، ومن هنا، وظف الروائيون والروائيات الذين لهم الجرأة ويتحدثون في هذه التابوهات القضايا المكشوفة التي كانت تختفي في النصوص الأدبية نظرا للمعتقد الديني أو غيره من الجوانب المرتبطة بالعادات والتقاليد.

4- الثالوث المحرم:

أ-اللغوي: جاء مصطلح "الثالوث" في معجم العين كالتلي : «ثَلَثَ: الثَلاَثَةُ: من العدد (...)، وقد يقال: ثُلُثَتَ الرجلين أي كانا اثنين فصار لهما ثَالَثٌ»[7]؛ وهذا يعني أن مفردة الثَالُوثَ جاءت من العدد ثلاثة. وأما مصطلح "المحرم" في اللغة فيعني: «حَرَمَ: الحُرِمَ بالكسر والحَرَامُ: نقيض الحلال وجمعه حُرُمٌ، الحَرَامُ: ما حَرَّمَ الله، والمُحَرّمُ: الحَرَامُ، والمَحَارِمُ: ما حَرَّمَ الله»[8]؛في هذا القول نستنتج بأن لفظة "المحرم" جاءت من الفعل "حرم"، فهو ما يحرمه الله من كل ما لا يجوز، وهي نقيض الحلال.

انطلاقا مما سبق من مفاهيم لغوية للفظتي "الثالوث" و"المحرم"، فالثالوث ما تشكل من العدد ثلاثة، والمحرم ما يحمل صفة المنع، وهو نقيض الحلال والمباح، فالثالوث المحرم يقصد بها الأمور الثلاثة :(الدين والجنس والسياسة) التي حرم ومنع تداولها من طرف الأدباء.

ب- الاصطلاحي:

يشمل الثالوث المحرم في نظر **بوعلي ياسين** الدين والجنس والصراع الطبقي. فالمحرم الأول (الدين) باعتباره موضوعا مقدسا يعد إلحادا من طرف الطبقات المتسلطة، والمحرم

الثاني (الجنس) يعتبره مجالا للتنوير والتثقيف، أما المحرم الثالث (الصراع الطبقي) فيعد أداة نظرية عملية للتحول الاجتماعي للطبقات والفئات المتسلطة التي تحرم هذه الأعمال[9].

ويتفق معه **حسين مناصرة** عندما يرى أن الثالوث المحرم: «تناول القضايا الجنسية والدينية والسياسية التي تشكل ثقافة المقدس أو المحرم أو المسكوت عنه في المجتمع»[10].

ومن خلال التعريفين السابقين نستنتج بأن "الثالوث المحرم" يشمل قضايا تلامس كل محظور له علاقة بالجهة المهيمنة، ولمصطلح المسكوت عنه أشكال نذكر منها: الجنس، الدين، السياسة.

1 - الدين: للدين تعريفات كثيرة منها ما قدمه الباحث ياسين بوعلي: «الدين من وجهة نظر أكاديمية بورجوازية هو نظرة إلى الكون وطريقة حياة محددة بالإيمان بوجود إله أو ألوهية. وهو شعور بالارتباط وبالتعلق والالتزام اتجاه قوة سحرية سائدة ومبجلة»[11]؛فالإنسان يشعر بأن داخله قوة خفية تتحكم فيه تراقب أفعاله وتصرفاته، فهو دائما ملزم بالخضوع لهذه القوة الغيبية أو السلطة الإلهية، والدين من أهم عناصر الأعمال الإبداعية الروائية والفنية، فقد سعت الروائيات العربيات لمناقشة التابو الديني والممارسات الدينية في رواياتهن، يضيف مناصرة كذلك: «تجرأت الساردة النسوية على مناقشة تابو الدين وتوجيه انتقادات حادة إليه مع تمسك وعي الكاتبة بضرورة التفريق بين الدين بصفته تعاليم إلهية نقية وعادلة، والدين بصفته ممارسة معيشية في الواقع على يد سلطات دينية جائرة وغير عادلة، وذلك عندما تضطهد السلطة الدينية المرأة بصفتها رمزا للفتنة»[12].إذن ينظر المجتمع العربي وخاصة الجزائري للمرأة، كرمز للفتنة والإغواء.

استعان الخطاب الروائي الجزائري بركن الثالوث المحرم للتعبير عن القضايا الأكثر جرأة؛ كالموضوعات الثقافية والفكرية والسياسة والاجتماعية، فقد جعلت هذه القضايا الروائيين يكشفون المستور تصريحا أو تلميحا، ومن بين هؤلاء الكتاب نذكر "عز الدين جلاوجي وواسيني الأعرج وغيرهم، أما الأديبات الجزائريات فنجد فضيلة فاروق في روايتها "اكتشاف شهوة"، وربيحة حدور في روايتها "عقم شرف".

بداية يُستنبط المسكوت عنه دينيا من رواية عقم شرف من خلال قضية الإرهاب، فمن المعروف أن الإرهاب ظاهرة دولية مست جل دول العالم، لكن تم التغاضي عنها لأسباب كثيرة، والحق يقال أن الظاهرة انعكست إيجابا على الأدب ، إذ فجرت المواهب وأثارت القرائح، وهو ما يسمى في بلادنا بأدب العشرية السوداء أو الأدب الاستعجالي.

عرّفت **نادية شرايرية** الإرهاب بأنه: «كل عمل عنف منظم أو تهديد به، يقوم به فرد أو جماعات أو حكومات دول لخلق حالة من الخوف أو الرعب أو اليأس بقصد تحقيق أهداف سياسية عامة أو اجتماعية أو اقتصادية، وتعد أعمالا إرهابية أعمال القمع والتوسع والاحتلال والاستغلال والهيمنة بكل أشكالها التي تمارسها الأنظمة الاستعمارية وأنظمة التمييز العنصري»[13] ، إنّ ظاهرة الإرهاب موغلة في القدم ،كان الإنسان دوما يلجأ إليها إذا أحس بظلم ما، كظاهرة الصعلكة في العصر الجاهلي على سبيل المثال. ففكرة الإرهاب تنطلق من خلفية عقائدية أو فكرية و تكون بغية تحقيق مصالح معينة مرتبطة بالسياسة أو المجتمع أو الدين، ويجدر الإشارة هنا أن الخلفية الدينية هي أكثر الخلفيات ارتباطا بالإرهاب، نتيجة الصورة النمطية التي جمعت بينهما.

من خلال هذه الفاتحة يمكننا أن نتخيل ما فعله الإرهاب في الجزائر استنادا إلى رواية "***عقم شرف***". فبعد أن نالت الجزائر استقلالها، ظهرت فرقة أخرى أشد رعبا وذعرا من فرنسا، فالصراع قبل ذلك، كان بين الجزائريين والفرنسيين الغرباء جنسية ومعتقدا ودينا؛ لكنه تحول بين الجزائريين أنفسهم أبناء الوطن الواحد والدين الواحد، وبين الجماعات الإرهابية والشعب الضعيف المستضعف، وكأن الوطن لم يكتف بدماء المليون والنصف مليون شهيد!، فالكل يخدم مصالحه ولا أحد يهمه الوطن والإنسان، لقد كان الجهاد في بادئ الأمر جهادا طاهرا لكنه مع العشرية السوداء تحول إلى انكسار تاريخي زعزع النفوس، وكأن الوضع كان مخطط له منذ البداية، بظهور أشخاص يرتدون زي العفة والدين أما قلوبهم، فهي أشد من الحجر ومن الفرنسيين أنفسهم.

إن الوطن حسب (محمد مسعودي) بطل الرواية، لم يكن محل أطماع الغرب وفرنسا فقط بل أن أبناء الوطن طمعوا فيه بأنانيتهم وأفكارهم الشيطانية جاء على لسانه : «كانت التجربة كافية لتعليمي أن الوثوق بالزمن مجازفة لا تجوز للعقلاء، .... صار الجميع يردد الشهادتين قبل الخروج وارتدت النسوة العاملات بغير قناعة الحجاب»[14]، إنّ الجهاد في زمن العشرية السوداء مؤامرة، وحرب دموية ثانية، لقد افتقد الجميع الأمن والسكينة، وأضحى أبناء الشعب يخافون من بعضهم البعض، بل يرددون الشهادتين قبل خروجهم من المنزل، فلا ضامن لعودتهم سالمين، كما ارتدت النسوة الحجاب دون قناعة وخوفا من أن قطع الرؤوس.

ومن هنا يتجلى شكل المسكوت عنه، فلا أمان في وطن كان من المفترض أن يكون هو الأمان بقيمه، ولا أحد كان يدرك ما يحدث؛ فالشعب يعيش في دوامة، حيث يصرح السارد (محمد مسعودي) فاضحا الوضع ومنددا: «لا شك فيما أفكر، طلما اعتبرت الأمر عائدا إلى طبيعة عمل السوس، تلك التي تنخر في الجذور بهدوء وبصمت حتى تقع الشجرة. لقد أوهمونا بأن لا مبرر لحرب ضد سوسة لا يسمع لها صدى خطر معين»[15]، ومن خلال المقطع السردي أعلاه، كشفت الروائية، دناءة وبشاعة الإرهاب، فهؤلاء يشتغلون على سحق الضمير الإنساني ومحوه واستبداله بوحش مفترس لا يعرف الرحمة متعطش للدماء حاقد على الجميع.

يتجلى المسكوت عنه دينيا أيضا في موضوع الوشم من خلال شخصية (الجدة) جدة السارد (محمد مسعودي)، فيحدثنا عنها «تكتفي هي بحبة بصل بكسرة تعجنها بيديها الموشومتين اللتين ترويان قصة دم منثور عبثا بإبرة خياطة ساخنة لقلة وعي، لاعتقادها كما أوهمنها العجائز أنه رمز الأنوثة، تماما كما تتوهم نساء اليوم أنهن أجمل بكعب عال يرفع جسدهن ويحط من حيائهن مع كل صوت يصدر منه أمام مجلس الرجال»[16].

يكشف السارد بعض الممارسات المحظورة السائدة في المجتمع والتي تعود إلى قلة الوعي ونقص الوازع الديني، حيث النساء قديما و(الجدة) منهم يوشمن على أجسادهن ظنا أنهن يتزين، فالوشم رمز للأنوثة والجمال، ولا يعرفن أنه محرم شرعا، بل يجهلن خطورته صحيا، فالله سبحانه وتعالى حاشاه أن يحرم شيئا عبثا.

فضحت الرواية ما تفعله الكثيرات من ممارسات عن علم أو جهالة، وهذا خرق للمقدس وتدنيس غير معلن عنه إذ هو من الأمور المسكوت عنها بدافع الزينة . فالروائية كشفت عن أهم القضايا المسكوت عنها في الدين الإسلامي. وحاولت أن تنقل للقارئ هذه القضايا أو الطابوهات من أجل تجنيها مستقبلا .

2- الجنس:

تأتي أهمية الجنس بوصفه من الموضوعات القديمة المطروحة في جميع الكتب السماوية، وهو وفي نظر **بوعلي ياسين** عنصر أساس في تكوين الإنسان «فالإنسان المكبوت ليس حقا بقادر على العمل الخلاق مثل الإنسان المشبع جنسيا، إذ إن الحرمان الجنسي يجعله في نفسية ووضعية فيزيولوجية معيقة لمثل هذا العمل»[17]، فالجنس إذن من الموضوعات الاجتماعية المنتشرة في الأعمال الإبداعية الروائية؛ لأن النص السردي المعاصر أصبح يعتمد على العلاقات الجنسية الغرائزية التي يراها ضرورة فنية جمالية[18].

حضر المسكوت عنه جنسيا بصيغته المدنسة في الرواية الجزائرية المعاصرة، أما في رواية **عقم شرف**، فنكتشف أنه وعندما يرغب الإنسان في ممارسة الجنس خارج المسموح به دينيا، يصبح الدين –حينذاك- في نظر هذا الإنسان قيدا وحاجزا ويصبح همه الوحيد التخلص منه، فمهما كانت حجته لتبرير موقفه يبقى مذنبا في حق الدين وحق كرامته ومدنسا لقداسته، وهذا ما فتح بابا واسعا أمام عدة محرمات كالزنا على سبيل المثال، فقد قابل المجتمع هذه الظواهر بالصمت والسكوت، باعتبار الاقتراب منها عيبا ومحرما، فعندما يكتشف المجتمع سلوكا مماثلا في فتاة يسارعون إلى ذبحها خوفا من الفضيحة ومن انتشار الخبر ومن العيب، ومن هذا المنطلق حمل الروائيون الجزائريون المسؤولية الكاملة لتعرية الواقع، وفضحه وفضح هذه الطابوهات .

نستشف من خلال هذا الموضوع أن الروائية تطرقت للمسكوت الجنسي بطريقتين: غير مباشرة، ومباشرة. تجسدت الأولى على لسان (فوزية) اللاجئة السورية التي اتخذت الطريق

الخطأ لكسب قوت يومها، فباعت شرفها بذريعة كسب لقمة العيش، واعتقادا منها أنها مطالبة بإحضار المال لتسد جوع ابنتها (مريم).

تقول الروائية على لسان (محمد مسعودي): «استيقظت على هيئة امرأة أخرى، ملابس سعيدة، عطر صاخب، وجه شاحب متعب تغطيه مساحيق التجميل، وقالت فوزية: لا تقل شيئا لابنتي، هيك الدنيا تعلمنا ما حدا مسؤول عن حالك إلا أنت»[19]،ويقول أيضا محمد مسعودي: «فستانها يزعجها يلم غبار الأرض بملل كأنه درى وجهة الدعارة التي اختارتها فتعمد تأخيرها. سألت نفسي: أيلام من ينام في بيئة وسخة إذا أتسلخ؟»[20]، ومن خلال المقطع السردي تبين أن (فوزية) اختارت الطريق الخاطئ باسم الدين والكرامة بحجة عدم القدرة على الصبر والتحمل ، فقد دنست الدين واتخذت الجنس (الحرام) وسيلة لكسب المال، ولكن كانت النتيجة وخيمة تعيسة مثلها تماما؛ إذ يقول (محمد مسعودي) واصفا حالتها عند رجوعها من مكان ارتكابها الزنا: «لون الفجر يتثاءب خطى يائسة تتقدم نحوي عادت صديقتي [....] سألتها: ما بك؟ ماذا حصل يا فوزية؟ قالت: ولد الحرام.. اطلعما معوا مصاري[...] ارتمت في حضن الألم ونامت»[21].

ونجد أيضا المسكوت عنه الجنسي متجسدا في الرواية من خلال شخصيتي (محمد مسعودي) وزوجته (نادية)، إذ يلوم نفسه ويفضح ما كان مقموعا في علاقته بـ(نادية) مصرحا بإهمالها وتجاهلها؛ وهي التي كانت لا تطلب منه شيئا غير حب صادق ومشاعر نبيلة. جاء على لسان (محمد مسعودي): «قذفتني الحياة أمام آلاف الخيارات فلم لم أخترك؟ ما الذي كان يمنعني أن أقبلك وأنا الذي لم أفعلها إلا مرة واحدة في جماع عابر محاولة لإنجاب ابنتنا؟ لماذا كان جماعنا ممارسة جنسية أوتوماتيكية وعملا آليا رغم أنني أحبك بشكل ما»[22]، يصرح البطل أن علاقته الجنسية بزوجته لم تكن إلا عابرة، بعيدا عن الحب والمودة، فممارسته كانت جافة دون مشاعر، تشبه العمل الآلي.

ويحسن بنا التذكير في هذا المقام أن مقصودنا لم يكن بالطبع دراسة الجنس مفصولا عن سياقه الاجتماعي، وإنما على النقيض من ذلك تماما، سعينا إلى توضيح أنّ الشروط

الاقتصادية والطريقة المنظم بها العمل الاجتماعي تلعب دورا بارزا في توجيه السلوك الفردي[23]، فالروائية " ربيحة حدور " لم تقارب كثيرا المسكوت عنه الجنسي ، و يبدو لنا أن سبب ذلك يعود إلى طبيعة المجتمع الجزائري المحافظ الذي يرى أنّ الحديث عن الجنس هو دعوة للإباحية ولانحراف الشباب.

3- السياسة:

تعد السياسة من أهم القضايا التي تشكل الوعي الروائي، وتعود أهميتها، لارتباطها المرجعي بالواقع، فهي ذات أثر بالغ في تشكيل الواقع وصناعة الإنسان وتغيير سلوكه، لذا تقدم الرواية خطابا موازيا للخطاب السياسي، وتعلن عن موقفها ذاك بشكل مضمر من خلال نقدها، فالقيم وأشكال الوعي التي تحملها الشخصيات المقاومة غالبا ما تتقاطع مع أشكال الوعي السياسي الواقعي. ونقد السياسة ومساءلتها من أولى أولويات الخطاب الروائي؛ لأنه يفتح بابا للكشف عن المسكوت عنه ، ويجيء انشغال الروائي بالسلطة السياسية لما تشغله من مساحة في تشكل وعي المجتمعات، فقد شغل المسكوت عنه السياسي الكاتبات الجزائريات اللاتي حاولن ملامسة أبرز القضايا والوقوف عند انعكاساتها على الفرد والمجتمع، وهذا ما جعل المرأة تتفاعل في كتابتها الإبداعية إلى جانب الروائي الرجل. يتفاوت الحضور المسكوت عنه سياسيا في المتن الروائي النسائي من نص إلى آخر من خلال تفاعل الشخصيات الموجودة في الروايات مع قضايا الفساد السياسي مثل الرشوة والتزوير والاختلاس في الأموال العامة.

يرى **حسين مناصرة** أن لا خلاف على ما تشكله السلطة السياسية في ذاتها من تابو مهيمن على الواقع والكتابة معا، وبخاصة إذا كانت هذه السلطة تعتمد على الدين، وما يضاف إليها من سلطات ذكورية أو اجتماعية أو قبلية، بل قد تبدو جلية في الرواية النسوية تحديدا التي ترى في ذلك مجالا مهما للتابو الذكوري، فتسعى ذاكرة الكاتبة النسوية إلى تعريته وكشف ستره بطرق مختلفة سواء رمزية مباشرة أو غير مباشرة؛ لأن السلطة السياسية عادة ما تكتسب حصانة في المجتمع[24].

تحلى الكثير من الروائيين بالأمانة والمصداقية في تصويرهم للواقع والأحداث سواء تلك التي عايشوها أو سمعوا عنها، إذ كتبوا عن التصنيفات والتقسيمات التي حدثت بين أبناء الوطن الواحد. كما كشفت عن الممارسات المتبعة من قبل المجاهدين لفضح ملف الخونة، وأزاحت النقاب عن حقيقة التنظيم الإرهابي الذي ضرب الوطن، مع فضحه وكشف مستوره: « فالرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية كانت أمينة وصادقة في نقل اهتمامات الإنسان وتصوير طموحاته، وما يأمل على تحقيقه»[25]، فالرواية منطقها الأساس سياسي بحت، فهي تكتب خصيصا لكي تحفر في المسكوت عنه المتعلق بقضايا الفساد السياسي خاصة الرشوة والتزوير. و ألاعيب مافيا العقارات في الجزائر.

يقول (محمد مسعودي) الذي يفضح السياسة في الجزائر بعد تقلده منصب مسؤول الولاية «أخبروني بضرورة المجيء إلى هنا لإلقاء خطاب على مسامعكم كعادتي لأكذب عليكم كما هو المطلوب منذ الأزل، ولأن الخطاب تفوح منه رائحة نتنة مليئة بالنفاق، سأخبركم الحقيقة لا غيرها»[26]، فالمقطع السردي أعلاه يفضح السياسة في الجزائر، المبنية على الاحتيال والكذب والنفاق، بل ويصرح بأنه رغم منصبه وسلطته، فهو مجرد أداة يتلاعب بها من هم أكثر سلطة منه وأعلى شأنا وحكما؛ لكنه إنسان بضمير حي، عكس السياسة السائدة في بلادنا (الجزائر)، فهو يتمرد ويتجرأ على قول الحقيقة "سأخبركم الحقيقة لا غيرها"، فالرواية هنا تؤكد على صدق شخصية (محمد مسعودي)، وعلى صحوة ضميره المهني على الرغم من تقلده منصب الذئاب -كما صرح- إلا أنه لا يحمل صفاتهم. ظهر المسكوت عنه السياسي بكثرة في الرواية؛ لأنه يتنامى مع الأحداث ومع انتقال الأوضاع وتحولاتها، فنتدرج إلى حدث جديد وقضية جديدة ضمن المقموع السياسي، وذلك من خلال الشخصية الرئيسية (محمد مسعودي).

يسعى الخطاب الروائي، وبكل جرأة إلى كشف ألاعيب السياسة والسلطة بطريقة مباشرة مفضوحة، فالروائية " ربيحة حيدور" تصرح أن من لهم اليد العليا في السياسة يسرقون وينهبون خيرات الوطن وحقوق الشعب دون معاقبة، وهو ما يعد في نظرهم ممارسة

حضارية فلا أحد يتجرأ على عقابهم، فما هو محرم وغير قانوني بالنسبة للشعب (المواطن البسيط) هو مسموح لأرباب السياسة والعاملين عليها. فحسب (محمد مسعودي) ومهما كنت صادقا مريدا للخير لبلدك، فإن السياسة تعلمك وتدربك على العكس، تعلمك التواكل على الغير وحب السلطة والتملك وتزرع فيك بذرة الأنانية، فالسياسة تعلم الاحتيال والنهب بطرق مباشرة أو غير مباشرة. جاء على لسان (عمي محمود) مخاطبا (محمد مسعودي): «أخبرني أنت لم تأخذ بنصيحتي أليس كذلك؟ ألم أقل لك لا تتدخل فيما لا يعنيك، فيرد محمد مسعودي: أتقصد مشروع التحقيق في العقارات والأراضي؟ يقول عمي محمود: اسمع يا بني قضية كهذه ليست وليدة اليوم. الوكالات كيف سيكون حالهم إذا تم تهديم البنايات بعد أن تثبت أن العقود عرفية أو أن الأراضي التي بيعت لهم ملك للدولة؟ من سيعوض خسارتهم؟»[27]، فمن خلال المتابعة، نفهم أن لشخصية (عمي محمود) وجهين : شخصية معرقلة وهو الظاهر للقارئ العادي، تنصح بعدم النبش في الملفات المشبوهة بذريعة أنها لا تهمه و تم التغافل عنها من طرف الولاة السابقين؛ لأنها تسبب ضررا للمواطنين. ووجه ثان، فهي شخصية فعالة ونشيطة ومناضلة ترى ضرورة محاربة الفساد السياسي بكل الوسائل مهما كان الثمن[28].

4- **الاجتماعي:** برز المسكوت عنه اجتماعيا في الرواية، بغية فضح الروائية السائد في العقلية الجزائرية)، يقول(محمد مسعودي) ، وهو يتحدث عن (فوزية) المرأة السورية اللاجئة داخل الجزائر ، وواصفا معاناتها من نظرة الاحتقار :«يتهامسون والله لابسة خير مني [...] أم كذابين هاذو متعطيلهم والو أيمتصلحش الصدقة فيهم كتشوف متشردة بالمكياج»[29]. فالمارة حكموا على (فوزية)المتسولة حكما سلبيا، فرفضوا مساعدتها كشكل من أشكال المسكوت عنه الاجتماعي، فالمسكوت عنه يفضح العقلية الجزائرية؛ لأنّ المجتمع يحكم على أخيه الإنسان بلباسه وماركة حذائه.

فالجميع يرى(فوزية) كاذبة من مظهرها وشكلها، على الرغم من أنها كادت تسقط في الهاوية جراء أنانية البشر ونفاقهم، يقول (محمد مسعودي) مؤكدا قوله ونظرته

للمجتمع :«كيف سيحترمون مشردا ضائعا إن لم يحترموا قبله معلما يدرس أبناءهم في مقر عمله إن عاقب ابنا لهم؟ وطبيبا يعالجهم في قاعة العلاج لتأخره في إدخاله مريض معتقدين استحالة تعبه؟ وشرطيا يسهر على سلامتهم أثناء حركة المرور إن عطل حركتها لسبب ما؟ لا يعرفون شيئا مما تعنيه كلمة الاحترام حتى صرنا اليوم لا نطالب بإحسان أحد إلينا، أصبحت أهم أمانينا ألا يؤذينا أحد بنظرة أو كلمة، أن يتركنا الجميع بسلام»[30].

إنّ المجتمع الجزائري ليس حاقدا فقط على الغريب (فوزية)، ولا على القريب ابن الوطن كالمعلم والطبيب بل هو حاقد على القريب روحا ودينا وأصولا (الوالدين)، يوضح المقطع السردي أن الحب في المجتمع الجزائري المحافظ تحكمه العادات والتقاليد، فالحب من المحرمات، «أرادوني بمناسبة عيد المرأة أن أخبركم عن مساهمات المرأة الجزائرية الفعالة في التنمية الاقتصادية، بيد أنني أرفض بيع الأوهام، فأنتم تدركون كما نعلم ويعلمون أن نساءنا لا يساهمن في الاقتصاد لأننا من يتولى مراكزه، قبعن في الهامش ولا يزلن. لا وجود لمجال كهذا سوى في تخصص علمي جامعي. وما من داع للحديث عن إنتاج المرأة الريفية في الخياطة وبيع الكعك ومختلف الحرف المهنية التي لم ولن ترفع من مردودية اقتصادنا. كفانا تزييفا للحقيقة»[31].

إنّ المجتمع الجزائري يهمش المرأة لكنه في الظاهر يحتفي بيومها العالمي مزيفا الحقائق، في الرواية مسكوت ومقموع اجتماعي تمثل في نظرة المجتمع للعلم، يزعمون أن التخصصات العلمية هي الأساس حسبهم، فهو مجتمع يمجد المادة لا الفكر، يقول (محمد مسعودي): «كنت أحب السبيل الأسرع للربح كالتجارة، لكن الجميع استهوته تجارة الأحلام. كان الحلم أن أختار تخصصي الأدب الفرنسي أو العربي أو الفنون لكن العلم عند العقول الخشبية لا يشمل التخصصات الأدبية كنت أستعير رواية أو قصة من مكتبة الجامعة كلص يخاف أن يفضح أمره.»[32]

لقد سُلبت من المجتمع الجزائري الجاهل معاني الحب والمبادئ الإنسانية التي هي منبع الحياة وسر استقرار الأسر، كما فقد الشرف في كل شيء و دنس المبادئ الأخلاقية واقتلع الحب والرأفة وغرس بدلهما النفاق والشره وحب المال والتملك «ليس الحب من اختصاصي، لا أعرف كيف أحب لأنني لم أتعلمه، لم أشهد حبا في قريتي، فهو محرم منذ الخلقة الأولى. ممنوع علي وعلى الرجال أن نسقط في فخ الحب فتتلاعب بنا النساء كالدمى، رجولة شوهوها فقتلوني، ما تعلمته منذ صغري هو كيف أعمل لأكسب الأموال.»[33]

الخاتمة:

إنّ رواية "عقم شرف" من الروايات المعاصرة التي تجلى فيها الثالوث المحرم أو المسكوت عنه أو الطابوهات،: (الديني، الجنسي، السياسي والاجتماعي).

- تحدثت عن المسكوت عنه الديني ممثلا في قضية الإرهاب، على اعتبار أن الإرهابيين شخوص يرتدون لباس العارفين والمصلحين باسم الدين والجهاد في سبيل الله، لكنهم دنسوا المقدس كما دنسوا الأخلاق بارتكابهم الزنا والاغتصاب و السرقة.

- تناولت الرواية المسكوت عنه الجنسي من خلال الإشارة إلى أنه صار من الضروريات الحياتية والقيم الفنية التي لا يمكن إبعاد ملامحه عن الساحة الإبداعية.

- المسكوت عنه السياسي من خلال عرض جملة من القضايا، كقضية الفساد السياسي، انطلاقا من الشخصية الرئيسية (محمد مسعودي) بقيمتها وخصوصياتها التي تتبنى وتأمل تحقيق العدالة وتسعى لترسيخ مبادئها التي طالما دنست في الوطن العربي بصفة عامة، والجزائر بصفة خاصة.

- أما المسكوت عنه الاجتماعي فتم اكتشافه من خلال فضح المجتمع وعقليته المستبدة، وتدنيسه للمبادئ الإنسانية ونفاقه الشامل.

- استطاعت رواية عقم شرف أن تكشف عن أهم الطابوهات الموجودة في واقعنا المعاش مثل القضايا الدينية، والسياسية والاجتماعية، ولعل طابوا الجنس هو الأكثر حضورا بينها، تلميحا وفي أحيان أخرى يكون تصريحا.

الهوامش :

[1]- الفراهيدي الخليل بن أحمد ،(2002م) ،معجم العين ، تحقيق: هنداوي عبد الحميد ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، ، ج2، ص259.

[2]- الشيباني محمد،(2009 م)، المسكوت عنه ، قسم اللغة العربية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بصفاقس، 16 أبريل ، ص 21

[3]–شاكر مصطفى سليم،(1981 م) ، قاموس الأنثروبولوجيا إنكليزي- عربي ،جامعة الكويت، ط1،ص 943.

[4]– ينظر: مناصرة حسين، (2012 م)، مقاربات في السرد (الرواية والقصة في السعودية)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، ص 41.

[5]– ينظر:حسين مناصرة: مقاربات في السرد، ص39.

[6]- الحجري إ براهيم،(2013م)، المتخيل الروائي العربي، الجسد، الهوية لآخر ،دار محاكاة، بيروت، لبنان، ط1، ص17-18.

[7]– الفراهيدي الخليل بن أحمد،(2002 م)،العين، تحقيق: هنداوي عبد الحميد ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، ج11،ص 205.

[8]–ابن منظور ، (2008م) ، لسان العرب، تح: خالدالقاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط1 ،ج2، ص129.

[9]–ينظر: بوعلي ياسين، (1978) م ، الثالوث المحرم دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2 ، ص06.

[10]– مناصرة حسين، (2012م) ، مقاربات في السرد (الرواية والقصة في السعودية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1 ، ص39.

[11]- بوعلي ياسين: الثالوث المحرم، دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، ص11.

[12]- مناصرة حسين: مقاربات في السرد، ص80.

[13]- شرايرية نادية، (جوان 2012 م) ،إشكالية تعريف الإرهاب في القانون الدولي، التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة باجي مختار،عنابة،الجزائر،العدد34، ص 570.

[14]- حدور ربيحة، (2021 م) ،عقم شرف، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط1، ص 47.

[15]- حدور ربيحة: عقم شرف، ص 12

[16]- حدور ربيحة: عقم شرف، ص59.

[17]- بوعلي ياسين: الثالوث المحرم، دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، ص 37-38.

[18]- ينظر: مناصرة حسين: مقاربات في السرد، ص 40. .

[26]– حدور ربيحة: عقم شرف، ص13.

[20]– حدور ربيحة: عقم شرف، ص 13- 14.

[21]– حدور ربيحة: عقم شرف، ص 14.

[22]– حدور ربيحة: عقم شرف، ص 41.

[23]–لينين ريازافون وآخرون ، (1979 م) ، المرأة والاشتراكية، تر:جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، ط3، ص 128.

[25]– ينظر: مناصرة حسين: مقاربات في السرد (الرواية والقصة في السعودية)، ص 40.

[25]–صياد مليكة، (2018- 2019م) ،المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة أمين الزاوي وآسيا جبار أنموذجا، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر،. ص 37.

[26]– حدور ربيحة: عقم شرف ، ص 18.

[27]– حدور ربيحة: عقم شرف، ص 84-85.

[28]–حدور ربيحة: عقم شرف، ص 86.

[29]– حدور ربيحة: عقم شرف، ص15.

[30]– حدور ربيحة: عقم شرف،ص11.

[31]– حدور ربيحة: عقم شرف، ص18.

[32]– حدور ربيحة :عقم شرف، ص124

[33]– حدور ربيحة: عقم شرف، ص 137.

قائمة المراجع:

- الحجري إبراهيم، (2013 م)، المتخيل الروائي العربي، الجسد، الهوية لآخر، دار محاكاة، بيروت، لبنان، ط1.
- ابن منظور، (2008 م) ، لسان العرب، تح: خالد القاضي، دار الأبحاث، الجزائر، ط1 ، ج6.
- بوعلي ياسين، (1978 م) ، الثالوث المحرم دراسات في الدين والجنس والصراع الطبقي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2.

- مناصرة حسين، (2012م)، مقاربات في السرد (الرواية والقصة في السعودية)، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1
- الفراهيدي الخليل بن أحمد، (2002 م) ، معجم العين، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، ج2.
- حدور ربيحة، (2021م) ، عقم شرف، دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ط1.
- شاكر مصطفى سليم، (1981م) ، قاموس الأنثروبولوجيا إنكليزي- عربي، جامعة الكويت، ط1.
- بايزيد فاطمة الزهراء ،(2018م) ما لرواية النسوية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، دار ابن بطوطة، عمان، الأردن، ط1 .
- لينين ريازافون وآخرون (1979 م)، المرأة والاشتراكية، تر: جورج طرابيشي، منشورات دار الآداب، ط3
- لوقا بباوي نبيل ، (2012م)، الإرهاب صناعة غير إسلامية، مطابع الأهرام بكورنيش، النيل، مصر، ط1 .
- الشيباني محمد،(2009 م)، المسكوت عنه ، قسم اللغة العربية، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بصفاقس، 16 أفريل ، ص 21.
- صياد مليكة، (2018- 2019م)، المحظور الديني في الرواية الجزائرية المعاصرة أمين الزاوي وآسيا جبار أنموذجا، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة زيان عاشور، الجلفة، الجزائر.
- نادية شرايرية، (جوان 2012م) ،إشكالية تعريف الإرهاب في القانون الدولي، التواصل في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد 34.